Faculté des Lettres et
des Sciences Humaines
MARRAKECH

MARRAKECH
جامعة القاضي عياض
UNIVERSITÉ CADI AYYAD

شهادة المشاركة

سلمت هذه الشهادة للباحثة : **فاطمة حرار**

تقديرا لمشاركتها المتميزة بمداخلة بعنوان:

مقدمة الكتاب في التراث الإسلامي بين الأفق العلمي والبعدين التعليمي والتربوي

ضمن فعاليات اليوم الدراسي اللذي نظمته مجموعة البحث في مناهج اللغة والأدب بكلية الآداب وكلية اللغة العربية بمراكش، في موضوع:

أدبية المقدمة وأدبياتها: قراءة في "مقدمة الكتاب" للأستاذ الدكتور عباس ارحيلة

وذلك يوم السبت 10 يناير 2004م بقاعة الاجتماعات في رحاب كلية الآداب والعلوم الإنسانية بمراكش.

العميد بالنيابة

إمضاء : عبد الجليل هنوش

9.00 – الجلسة الأولى : أدبية المقدمة

تقديم ومتابعة : د. محمد آيت الفران

9.30 – بلاغة الخطاب المقدماتي في التراث الإسلامي : عبد العزيز لحويذق

9.45 – الخطاب المقدماتي بين التنظير والممارسة : محمد جمالي

10.00 – مقدمة الكتاب : بين الإنكار والإثبات : مليكة ناعيم

10.15 – "مقدمة الكتاب" : عرض ومناقشة : حسن المودن

10.. – مناقشة

11.00 – استراحة

الجلسة الثانية : أدبيات المقدمة

تقديم ومتابعة : د. عبد الواحد ابن ياسر

11.30 – "مقدمة الكتاب" . دراسة في التراث وبحث عن الذات . عبد الكبير الفقار

11.45 – "مقدمة الكتاب" : بين الأفق العلمي والبعدين التعليمي والتربوي، فاطمة حرار

12.00 – أدبيات نسقية في "مقدمة الكتاب" للدكتور عباس أرحيلة : محمد زهير

12.15 – أدبيات المقدمة والأسئلة الممكنة : فاتحة سلايعي

12.30 – د. عباس أرحيلة باحثا ومؤطرا : قراءة في مقدمة "مقدمة الكتاب" : الحسين بوم

12.45 – مناقشة وخلاصات

1.15 – كلمة الأستاذ عباس أرحيلة

1.30 – اختتام

مجموعة البحث في مناهج اللغة والأدب بكلية اللغة العربية وكلية الآداب بمراكش

تنظم يوما دراسيا حول :

أدبية المقدمة وأدبياتها

قراءة في "مقدمة الكتاب"

للأستاذ الدكتور عباس أرحيلة

يوم السبت 10 يناير 2004

بكلية الآداب – قاعة الاجتماعات

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الكتاب في التراث الإسلامي بين الأفق العلمي والبعدين التعليمي والتربوي

في اليوم الدراسي: أدبية المقدمة وأدبياتها
قراءة في "مقدمة الكتاب" للأستاذ د. عباس رحيلة يوم السبت 10 يناير 2004 بكلية الآداب، جامعة القاضي عياض بمراكش، تنظيم "مجموعة البحث في مناهج اللغة والأدب".

الدكتور عباس ارحيلة

إن الحديث عن أدبيات المقدمة من خلال أستاذنا هو حديث سبق -في الزمان والمكان- صدور الكتاب عينه، أي أنه اكتسب تلك الأدبيات قبل صدوره، بل البعض منا ترقبه من أجل تلك الأدبيات، ذلك لأن بناء نسق علمي لمقدمات الكتاب كان الهم الأكبر لأستاذنا منذ زمن في محافل التدريس، حين كان يطالب كل واحد منا بإنجاز عروض حول مقدمات التراث ومقدمات التحقيق، لتحديد التقنيات التي تواضع عليها علماء العرب وألزموا أنفسهم بها بالإجماع. وكان همه في مجال التأطير والإشراف الجامعي، وفي الملتقيات العلمية كمجال أوسع، وتجسد هذا الهم في إصدار هذا الكتاب.

فإذا كان العلم ينتفع به عن طريق التدريس أو التأليف كما قلتم، فإن علم هذا الكتاب، طرق البابين معا. وإذا كان أثر الكتاب على قارئه وجها من وجوه أدبياته، فإن هذا الكتاب وأنت تقرؤه وتعاود قراءته، تحس بالهم العميق الذي يحمله مؤلفه، حاجتنا -كطلبة وباحثين ومؤلفين- إلى المبادئ والأخلاق في الكتابة قبل حاجنا إلى

المعرفة والعلم، تحس بذلك ويؤثر فيك وأنت تقرأ مكونات المقدمة بـــدءا بالبسملة والحمد لله والتصلية، ومرورا بدواعي التأليف وشروطه وانتهاء بشكر ذوي الفضل ودعاء الختام الذي هو شكر للخالق؛ هي لحظات لو تتبعنا ما بين ســـطورها، ومـــا تخفيه طيات عباراتها، لامنا بآفاق الكتاب العلمية وأبعاده التعليمية والتربوية : وهي أبعاد سنحاول رصدها من خلال معجم خاص.

ولعل هذا الهم من الدوافع التي جعلته يراكم الشواهد ويكشف الدلائل النصية الأصيلة ليستخلص تلك الأسس والأحكام، لرد الاعتبار لمقدمة التـــأليف وترســيخ التقاليد العلمية الرصينة. والكتاب بذلك لا يعكس الفكر فقط، وإنما يرصـــد المنـــهج ويؤسس لمكونات المقدمة، فكان يجمع ويختار ويهذب ويرتب ويصنـــف ويشـــرح ويقارن ... ليؤسس من جديد مستعملا معجما من الألفاظ (ونعلم جليا دقـــة اختيـــار أستاذنا لألفاظه، فكل لفظ يورده إلا ويجب أن يحمل دلالته العميقة كما عودنا فـــي محاضراته ...)

فكيف إذن أسس تلك الأدبيات التي يجب أن يتعلمها كل مشتغل فـــي مجـــال التأليف ويلتزم بها؟ وكيف ربطها بالبعد التربوي ليقوي من سلطتها ويلتزمها إلـــى أن بدت مشروعة؟

هناك عدد مهم من المصطلحات سأختار بعضها لرصد منهجه في التأسيس.

البحث:«هذا البحث عبارة عن دراسة لـــ"مقدمـــة الكتـــاب فـــي الـــتراث الإسلامي[1]. والبحث عنده –كما قال– اسم لا نطلقه ما لم يأت فيه صاحبـــه بشـــيء جديد لم يسبق إليه[2] وهو كما ردد دائما نبش في التراث لكشف شيء ما خفي، وهذا البحث قائم عنده على مفاهيم منها:

---

[1] –مقدمة الكتاب في التراث الإسلامي وهاجس الإبداع، عباس ارحيلة، ط1، مراكش، المطبعة والوراقة الوطنية، 2003م: 7.

[2] –نفسه: 19.

التَّتَبُّع:«لأتتبع ما حصل من تطورات في مجال المعرفة»[3] وأستاذنا يفضل استعمال لفظ "المتابعة" وهي كلمة، كما قال في لقاء الصويرة، دورة أمجد الطرابلسي لسنة 2001، تحتاج إلى "غَرْبَلَة" وعيون ثاقبة وراصدة تكون في المستوى الحضاري للكلمة، وفي "الغربلة" "معالجة" و"عمل".

عَالَجْتُ وَعَمِلْتُ:«عالجت مفهوم المقدمة» وعملت على بيان أهمية المقدمة[4] وقال:«معالجة لبعض مشكلات البحث العلمي في التراث الإسلامي ...»[5] والمعالجة من أهم أهداف هذا البحث.

وفي العين الثاقبة الراصدة: نظر وتأمل وفحص وتَتَبُّه وتَنْبِيه.

النَّظَرُ:«النظر في مكونات المقدمة»[6] «والنظر في الثوابت والمتغيرات[7] والنظر في مقدمة الكتاب»[8].

وفي النظر استعمال للفكر والتروي والتدبر من أجل إصدار حكم أو الفصل فيه ومن النظر التأمل.

التَّأَمُّلُ: والتأمل نظر مرة بعد أخرى، يقول:«إن المتأمل في حضور القرن 3هـ في تاريخ الإسلام، يجد أن التأليف أصبح صناعة قائمة»[9].

الفَحْصُ:«فحصت مكونات مقدمة الكتاب»[10] وهو تأكيد البحث، هو القلب والكشف والحفر في الأرض.

التَّنَبُّه:«التنبه لأهمية المقدمة»[11] وتنبه أي فَطِنَ، وعندها فطن "نَبَّه" ومنها:«نبهت» في الماضي[12] وأنبه في الحاضر والمستقبل[13] نَبَّهْت إلى أن استفتاح

---

[3] –مقدمة الكتاب في التراث الإسلامي وهاجس الإبداع، عباس ارحيلة: 14.

[4] –نفسه: 13.

[5] –نفسه: 8.

[6] –نفسه: 14.

[7] –نفسه: 14.

[8] –نفسه: 249.

[9] –نفسه: 192.

[10] –نفسه: 14.

الكتب توجيه إسلامي»[14] وأنبه إلى أهم ما ينبغي أن تقوم عليه مقدمة كل بحث علمي[15]. وهنا "نبهت" و"أنبه" تدلان على الاستمرار لترتبط بمفهوم آخر مهم جدا هو التوجيه والتعليم إلى ما ينبغي أن يكون، أي الاستمرار في توجيه طلبته.

التوجيه:«توجيه لعناية طلبتي بمقدمات الكتب العامة»[16] و«استفتاح الكتب توجيه إسلامي»[17] والتوجيه هنا لفتح نافذة جديدة.

-فتح نافذة على «منهجية البحث العلمي»[18]، وفي الفتح مبادرة، وفي الفتح رؤية جديدة، وفي الفتح كشف.

-**الكشف:** من الألفاظ التي تكررت عدة مرات:

*الكشف عما يتميز به خطاب المقدمات[19].

*الكشف عما يطرح ذلك الخطاب من قضايا ومن تطورات منهجية[20].

*الكشف بأن مقدمات الدراسات في العصور الحديثة لا تضيف جديدا[21]

*كشف الحقائق[22].

*كشف الادعاءات[23] ودعاوى المؤلفين في تراث الإسلام[24]

---

[11] -مقدمة الكتاب في التراث الإسلامي وهاجس الإبداع، عباس ارحيلة: 8.

[12] -نفسه: 13

[13] -نفسه: 233.

[14] -نفسه: 13.

[15] -نفسه: 233.

[16] -نفسه: 8.

[17] -نفسه: 13.

[18] -نفسه: 7.

[19] -نفسه: 7.

[20] -نفسه: 7.

[21] -نفسه: 8.

[22] -نفسه: 118.

[23] -نفسه: 119.

[24] -نفسه: 8.

*وفي الكشف نبش وفحص وبحث عن حق، إلى أن "وجد" و"تبيَّن" هذا الحق.

-**وَجَدَ**: «وجدت أن أول من بسط أنواع التأليف ومقاصده ابن حزم الظاهري»[25] و"وجدت" تكررت عشرات المرات لتدل على غنى نتائج البحث وكنوز الكشف. وفي الإيجاد ظفر بهذه النتائج وفوز بها. وكما "وجد" "أبان".

-**البيانُ**:«بيان كيفية الكتاب من التبويب، ومنها أُبين[26] ومنها تَبيَّن لي»[27].

فأفصح عما ظفر به من علم، وفي الإفصاح والبيان تعليم بالحجة وتوجيه بالدليل، وهذا الظفر بالحجة هو نتاج الدراسة.

-**الدراسة**: قائمة على التتبع والكشف من أجل التوجيه، وقائمة على مفاهيم أخرى منها:

-**المقارنة**:«قارنت بين مقدمة الكتاب ومقدمة العلم ...»[28].

-**النقد**:«نقد الأعمال السابقة يكشف عن أمور»[29]. ومن النقد:

***رد القول الذي لا يصح**[30] للخروج بـ:

***وجهة مغايرة**: «وجهة مغايرة لهذه الاهتمامات»[31]. وفي التغيير جدة وجديد.

والدراسة هنا قائمة على الإضافة وعلى إثراء التجربة الإنسانية.

***الإضافة**:«أن نضيف شيئا نابعا من حقيقة وجودك في المكان والزمان»[32].

---

[25] -مقدمة الكتاب في التراث الإسلامي وهاجس الإبداع، عباس ارحيلة: 207.

[26] -نفسه: 101.

[27] -نفسه: 293.

[28] -نفسه: 13.

[29] -نفسه: 117.

[30] -نفسه: 110.

[31] -نفسه: 8.

[32] -نفسه: 13.

*إثراء **التجربة**:«شيئا يثري التجربة الإنسانية برؤية جديدة»[33].

الدراسة إذن ومن خلال هذا الجزء من المعجم كانت ضرورة ملحة، اعتبرها المؤلف دينا ثقافيا وجب أداؤه للأجيال لتحقيق التواصل وخدمة الباحثين، لذلك ألزم نفسه بها وبتبعاتها المعرفية، من تتبع للقضايا الدقيقة، وربط الجسر المعرفي والمنهجي بين الموضوع وثقافتنا المعاصرة، بحثا عما يمكن أن تقدمه تلك النصوص التراثية الأصيلة لهذه الثقافة، فكان وفيا لمفهوم الدراسة ملتزما بالتزاماتها.

هذه المفاهيم المترابطة التي يؤدي الواحد منها إلى الآخر، هي صورة لمنهجه في تأسيس شروط المقدمة وتوجيه عناية طلبته، وصورة لعالم عمل بعلمه وعلم، وهي صور ترسخت أكثر من خلال جزء ثان من هذا المعجم، جزء ربط أدبيات المقدمة بالبعد التربوي.

المقدمة هي:

-أدب جميل[34].

-إفصاح عن العلم[35].

-أمر تقرر[36].

-أمر من الله واقتداء بالرسول صلى الله عليه وسلم[37].

-باب الاجتهاد[38].

-باب تقديم الجديد المبتكر[39].

---

[33] -مقدمة الكتاب في التراث الإسلامي وهاجس الإبداع، عباس ارحيلة: 13.

[34] -نفسه: 89.

[35] -نفسه: 102.

[36] -نفسه: 86.

[37] -نفسه: 87.

[38] -نفسه: 118.

[39] نفسه: 118.

-باب فتح مغالق الموضوع[40].

-باب نشر العلم وصيانته[41].

-تؤثر[42].

-تؤسس[43].

-تبرك وتيمن وثناء[44] والتبرك كما قال أبو البقاء الكفـــوي (ت 1683) فـــي كتابه الكليات (ص: 257) من أسباب التقديم للأمور ذوات الشأن.

-تحصيل المطالب[45].

-تحلية الكلام[46].

-تستدرج[47].

-تصديقات[48].

-تصوير لمراحل التطور المنهجي[49].

-تكشف[50].

-تعبير عن تجربة إبداعية[51].

-تعداد لمصاعب التأليف ومعاناته[52].

---

[40] -مقدمة الكتاب في التراث الإسلامي وهاجس الإبداع، عباس ارحيلة: 126.

[41] -نفسه: 166.

[42] -نفسه: 61.

[43] -نفسه: 61.

[44] -نفسه: 89.

[45] -نفسه: 109.

[46] -نفسه: 94.

[47] -نفسه: 61.

[48] -نفسه: 68.

[49] -نفسه: 171.

[50] -نفسه: 61.

[51] -نفسه: 170.

-شكر نعمة لله ولذوي الفضل، ومن الشكر إظهار العلم للأمة[78] ومن شـــكر النعم تأليف الكتب[79] وشكر النعم تربية وأخلاق.

-طلب التوفيق والجزاء من الله[80].

-فصل الخطاب[81].

-كشف رسالة العلم[82].

-كشف عن بواعث التأليف[83].

-الكشف والإيضاح[84].

-هي مبادئ العلم وعليها يبنى[85].

-مدخل قراءة الكتاب[86].

-مستنبطة من أنفس العلوم[87].

-مشروعة[88].

-منزلتها منزلة الرأس من الجسد[89].

---

77 -مقدمة الكتاب في التراث الإسلامي وهاجس الإبداع، عباس ارحيلة: 108.

78 -نفسه: 91.

79 -نفسه: 95

80 -نفسه: 114.

81 -نفسه: 101.

82 -نفسه: 103.

83 -نفسه: 129.

84 -نفسه: 106.

85 -نفسه: 68.

86 -نفسه: 126.

87 -نفسه: 61.

88 -نفسه: 90.

89 -نفسه: 60.

وغيابها هو: نقص وقلة بركة، وقطع وبترو وثب ... [90]وفشل المشروع.

من خلال هذا المعجم، نما مفهوم مقدمة التأليف واتسع، وارتبط بالشعور والقيم، اتسع إلى أن أصبح دائرة معارف، لتجليات تاريخية وعلمية وفنية وفكرية ومنهجية ونفسية وأخلاقية.

وبعد هذا يمكن القول: الكتاب صفحة جديدة، ملأت البياض والفراغ الذي يعرفه هذا المجال فوضع إطارا متينا بالشواهد الأصيلة ووضع خطوطه التي هي خطوط تأسيسية مستخلصة من تأمل تجارب ودراسة نماذج فريدة فكان لملء هذا البياض ظلالا وارفة، وكأنه صوت الذات العربية الإسلامية، عندما تحمل تراثها وتستحضر حاجيات عصرها، فكان البياض ماء وأرضا، والسواد تمرا ونخلا أسس ليمتد نفعه، وكأننا أمام حاله وهو يردد شعر أبي فراس الحمداني حين يقول:

فإن تمض أشياخي، فلم يمض مجدها ** ولا دثرت تلك العلا والمآثر

نشيد كما شادوا ونبني كما بنوا ** لنا شرف ماض وآخر حاضر[91]

والسلام عليكم ورحمة الله. وبركاته.

إنجاز الطالبة:

فاطمة جرار

---

[90] -مقدمة الكتاب في التراث الإسلامي وهاجس الإبداع، عباس ارحيلة: 84.

[91] -شرح ديوان أبي فراس الحمداني، ابن خالويه، حسب المخطوطة التونسية، إعداد محمد بن شريفة (الكويت، مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، 2002): 47.